

الإثنين 30-07-2008

334-الوجدان واللغة والترجمة (2008!!)

وقفة

ثورة ضرورية

لم تعد المسألة اختيارا

مضطر أنا أن أعترف أنني أضع للخبرة المباشرة التي يتيحها تخصصي- كمصدر للمعرفة- قيمة أكثر مما تستحق، أو على الأقل أكثر مما شاع عنه .

بواجهنا المريض الفصامي مثلا، (راجع بعض حالة د. أميمة يوم الأحد الماضي مثلا) باقتحام تحطيمي للغة، وعلينا أن نصير على استعمالاته حتى نتواصل معه ونتعلم منه

على الجانب الآخر يواجهنا الشعر الأحدث فالأحدث بإعادة تشكيل اللغة إذ يقوم بتفكيكها حتى خشية التناثر، لكنه لابد أن يقدر - ليكون شعرا- على احتواء وحداتها في "صورة" جديدة ليست مجرد تجاوز للألفاظ التي تنشط بالسياق الجديد.

ماذا نفعل بالله عليكم ونحن نتاول ظاهرة الوجدان سنة 2008 هكذا؟

رجعت إلى ما نزل في النشرة بهذا الشأن (يومية 14-11-2007 "ماهية الوجدان وتطوره")، (ماهية الوجدان وتطوره عدد ابريل 1984 الإنسان والتطور)، (يومية 17-11-2007 "كيف لا نحس الظاهرة في لفظها؟")، (يومية 18-11-2007 عن الوجدان والحزن)، (يومية 3-6-2008 تجارب تحريك الوجدان)، هذا فضلا عن أصل القضية وهو موجود في الموقع باسم "مسئولية الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة"،

وأیضا بالإضافة إلى كل النشرات التي نزلت عن الحب والكراهية ونعيد الإشارة إليها كما يلي:

رقم النشرة	التاريخ	عنوان النشرة
264	08-05-21	لعبة الكراهية
270	08-05-27	الاستجابات على لعبة الكراهية "كل مشارك على حدة" بدون تعليق

قراءة في قيمة الكراهية من خلال الاستجابات: لعبة بلعبة (ليس تحليلاً أو تفسيراً)	28-05- 08	271
تجارب تحريك الوجدان لإعادة النظر مقدمة للرد على حوارات لعبة الكراهية	03-06- 08	277
وتعلم: كيف تكره (1) البحث عن تفعيل الكراهية في العلاج الجمعي	10-06- 08	284
وتعلم: كيف تكره (2) "يمكن لما أعرف أكرهه أقدر.."	11-06- 08	285
الفروض الأساسية الافتراضات الأساسية حول: "جوهر الكراهية"	17-06- 08	291
نصوص جديدة عن الحب والكره: إستجابات	18-06- 08	292
ملف الحب والكره نحن نخاف من الحب...!! وننكر الكراهية!! إذن ماذا؟	01-07- 08	305
ملف الحب والكره والعواطف إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (1 من 2)	08-07- 08	312
ملف الحب والكره والعواطف إجابات لأسئلة ليس لها إجابات (2 من 2)	09-07- 08	313
عودة إلى: ملف الحب والكره هل ثم وجدان جديد يتخلق: "ألعاب الحب"	15-07- 08	319
عودة إلى: ملف الحب والكره هل ثم وجدان جديد يتخلق: "الفرض"	16-07- 08	320
ملف الحب والكره تراجع أم مراجعة؟ (1 من 2) عن "الكره" و "الكراهية" خبرة شخصية حديثة!!	22-07- 08	326
ملف الحب والكره عن إعادة النظر في الحب (2 من 2) خبرة شخصية حديثة	23-07- 08	327

من خلال كل ذلك، وجدت أن الاستمرار في مناقشة قضية الحب والكره دون الرجوع ولو إلى هذه اليوميات السابقة قد يعرضنا إلى تكرار غير مقصود، وأيضاً يمكن أن يقلل من فرص الترابط الأديق.

وقفه

من هنا جاءت هذه الوقفة لكي ننصح من خلالها الزوار الأصدقاء الجادين - وكلهم كذلك- بالرجوع إلى الأسئلة المطروحة والقضايا المفتوحة، والتي لم تنل حظها في المناقشة أو التعقيبات أو الاستجابات أو التساؤل على التساؤل. خذ مثلاً **نشرة 2008-7-8** وبها 25 تساؤلاً. أنا لا أنكر أنه قد وصلتني في بريد الجمعة بعض الاستجابات الجادة والمفيدة والمبدعة أحياناً، لكنها غير كافية لتحفيز الاستمرار، ومع ذلك سوف نستمر.

خذ الإشارة إلى الموقف من المعاجم حين أشرت أنني في عام 1974 قمت باستشارة المعاجم - كيداية - المعاجم العربية أولاً ثم الإنجليزية وإذا بي أفاجأ بما أثناني عن الإكمال،

هل هما لغتان: العامية والفصحى؟

فوجئت أخيراً كما فوجئ غيري أثناء القيام بالألعاب الكاشفة أن الترجمة من العامية إلى الفصحى هو أمر يفقد اللعبة حركيتها التي تغوص إلى داخلنا لتسرقنا إلى حيث لم نكن نعرف، أو إلى حيث لم نكن نعتقد أننا هكذا.

حين قدمت في ساقية الصاوي ندوة شعرية منذ سنوات، ألقىت فيها بعض أشعار وأنا اعتذاري للفصحى أعلنت - شعراً بالعامية المصرية- أن الفصحى ستظل حبيبتي " حتى لو "ضرتها غازية بتندق صاجات" كان يحضر هذه الندوة الصديق سعد هجرس الذي التقط إقراراً بأن العلاقة بين العامية والفصحى تحتاج إلى ترجمة مثل أي لغة مختلفة، مستشهداً بقول:

أصل الحدودة المرادى كان كلها حس

والحس طلع لي بالعامى بالبلدى الحو

والقلم استعجل

مالخس يترجم، لتفوتة أيها

همسة أو لمسة أو فتفوتة حس

قال لي "سعد" بعد "الندوة"، يا خير!! لقد كشفت بذلك حقيقة خطيرة وهي أننا نترجم أحاسيسنا حين نتكلم أو نعبّر عنها بالفصحى.

أعيد قراءة هذا المقتطع فأكتشف أنني منذ كتابتي له سنة 1974 (قبل نشره بسنوات) كنت أشعر أن الاستعجال الذي أطالب به المشاركين في الاستجابة للعبات هذه الأيام هو الذي يخرج "الحس التلقائي = الوجدان الأصل" وإلا فسوف تفوتنا أيها همسة، أو لمسة، أو "فتفوتة حس".

ثم إنه حدث بعد ذلك مع بداية تقدمنا بالألعاب - أن اقترح د. جمال التركي كتابة الألعاب بالفصحى (أيضا) وحاولنا ذلك فعلا، ومن خلال هذه المحاولة وجدنا أننا، مع استعمالنا الفصحى إنما نخيل مشاعرنا إلى جوهر آخر قد لا يتطابق أبداً على نفس المشاعر إذا ما استعملنا العامية في نفس اللعبة (بداً لي ذلك صحيحاً حتى وأنا أقرأ إستجابته د.جمال بالعامية التونسية فكان إيقاعها يصلني هميلاً عميقاً قبل أن يترجمه إلى الفصحى)، هكذا أشار أيضاً د. محمد يحيى الرخاوي وآخرين في تعليق له، أظن أننا ألحنا إليه في بريد الجمعة وآخرين.

تعالوا نقرأ ربايعات جاهين، أو تعالوا نقرأ الأبنودي كله ونحاول أن نترجم أي قصيدة من قصائده عبر عنها بالعامية الصعيدية القناوية إلى عامية وجه مجرى (بورسعيد مثلاً)، وسوف نعرف أن اللغة ملتحمة بالوجدان بشكل لم يخطر على بال، وأن ترجمة الوجدان من خلال مقابلة ألفاظه ببعضها هي استحالة عملية بشكل أو بآخر.

ترجمة العواطف من وإلى لغة أجنبية

إذا كان هذا هو الحال في الترجمة من العامية إلى العربية وبالعكس، فكيف يكون الأمر إذا قمنا بالترجمة من أو إلى لغة أجنبية؟

في أطروحة باكرة "مسئولية الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة"، عرضت مخاوفي على تشكيل وعينا بما يتعلق بالوجدان خاصة، أشرت إلى كيف أن أي واحد منا حين يتأثر بالأطباء النفسين ولغتهم الأجنبية ذات الرطان الأحدث، ويصف حالته وهو يقول "أنا مكتئب" فهو قد يعبر عن مشاعر أخرى غير قوله "أنا حزين" أو "مهموم".. إلخ ثم عدت فأوجزت هذه القضية في هذه النشرة بعنوان "عن الوجدان والحزن 18-11-2007".

سارتر وترجمة نظريته

ثم إنني وأنا أحاول الإعداد لمرحلة التنظير لأناقش التعقيبات والاستجابات التي وردتنا حول الحب والكراهة، بدأت بإعادة قراءة سارتر "نظرية في الانفعالات ترجمة د. سامي محمود على" (وهو محلل نفسي ممتاز و مترجم رائع)، وقد فوجئت بالمترجم يستعمل كلمة "شعور" طول الوقت، ولم أفهم ماذا يعني بذلك حتى مننتصف الكتاب، وإذا به (استنتاجاً مني بعد أن قطعت كل هذا الشوط)، يعني "الوعي"، (غالباً) - يا خير!! كيف هذا، بهذه البساطة، وقد التمسنا له العذر طبعاً حين راجعت تاريخ نظرية سارتر 1939 ثم تاريخ الترجمة 1965 ولم أحاول أن أحكم عليه وأنا مازلت مختاراً حتى الآن في تحديد ماهية الوعي، بعد كل ما أضيف إلى مفهومه وما أحاط بطبيعته (2008) اكتشفت ما يعنيه المؤلف بكلمة "الشعور" حين تكرر استعماله لكلمة "الاشعور" بمعنى عكس هذا الشعور الذي يعينه، وهكذا وصلت إلى فك شفرة ترجمة سامي على، التي جعلتني أبعد أكثر فأكثر عن نظرية سارتر.

الوعي/ العقل/ الوجدان:

الآن، ونحن نتناول قضية الوجدان من جديد ونستعمل كلمة "الوعي" بمعنى العقل الآخر، أو نتكلم عن مستويات الوعي وتعدد مستويات الوجدان، أو حين نشير إلى وعى النوم ووعى اليقظة ووعى الحلم باعتبارها مستويات الإيقاع الحيوى، أو حين يتكلم "دانيل دينيت" عن أنواع العقول، وهو يعنى البرامج الهراركية الغائية على سلم التطور، وهى التى تقابل "الوعي الخاص البقائى" الهادف، فى كل تلك الأحوال نجد أننا فى موقف يهزنا كل التحذير من الاستسلام لأى ترهمة دون تمحيص .

ارتباط عاطفة ما بوعياها بلفظها العامى بتاريخها المعجمى بالمقابل بالفصحى هى أمور أساسية فى تناولنا لأى وجدان وعاطفة، ناهيك عن الترادف المستحيل بين كلمات مثل "العواطف" و"المشاعر" و"الأحاسيس" و"العاطفة" و"الانفعال" و"الوجدان".

كيف بالله عليكم نتناقش معا إذن والمسألة أصبحت بكل هذا التشتت والتداخل والغموض؟ خاصة وأن المعاجم قد تمثل عبنا آخر، وليس وسيلة توضيح، كما أن بعض الاستشهادات بتفسيرات التنزيل المقدس قد تمثل وصاية فوقية أخرى غير مقصودة طبعاً- على حركية الجدال الذى نحن بصدده .

سجن المعاجم واحترام المقدس

لا غنى عن المعاجم، ولا بد من احترام المقدس، إلا أنه لا المعاجم وصية على حركية اللغة، ولا المقدس تمتد قداسته خارج سياقه، وهو يستعمل لفظاً بذاته فى سياق بذاته،

هذه قضية مبدئية أخرى لابد من الانتباه إليها .

المعاجم ليست إلا إثبات ما اتفق عليه فى مرحلة تاريخية ماضية فهى، ليست نهاية المطاف ولا ينبغى أن تمثل سقفاً يمثل وصاية السلطة، أية سلطة .

وقد اخترت معجمين صغيرين أحبها جداً، لأبين - كمثال - كيف أشار كل منهما إلى الكره، فى حين أننى تعمدت ألا أستشير المعاجم الموسوعية الأكبر (لسان العرب، وتاج العروس والمحيط) مع أن بها جميعاً ما يؤيد توجهى هنا

الكره فى أساس البلاغة (الزحشرى)

ك ر ه - أمر كَرِيهٌ . ووجه كَرِيه، وقد كَرِه كَرَاهَةً وتَكْرَهُ الشَّيْءَ: تَسَخَّطَهُ، وفعله على تَكْرَهُ وتَكَارُهِ، وامتَكْرَهُا وامتَكَرَها .

ومن الجاز: شهدت الكريهة: الحرب

الكره في الوسيط (جمع اللغة)

(كْرَهُ) الشيء - كَرَّهًا وكَرَّاهَةً وكَرَّاهية: خلاف أَحَبَّهُ. فهو كَرِيهٌ ومكروه.

(كُرِّهُ) الأمرُ والمنظرُ - كَرَّاهَةً وكَرَّاهية: قبح. فهو كَرِيه.

(أَكْرَهَهُ) على الأمر: قهره عليه.

(كُرِّهُ) إليه الأمر: صيَّره كَرِيهًا إليه.

(تَكَرَّاه) الشيء: كَرَّهه. ويقال: فعل كذا متكارهًا: فَعَلَهُ وهو لا يريدُه ولا يرضاه.

(الكَرِيهَةُ) الحرب أو الشُّدَّةُ في الحرب

يقال: شهدْتُ الكَرِيهَةَ و- النازلة

...فنلاحظ كيف أن كلا المعجمين، خصوصا الزمخشري، لم يفعلوا إلا أن استعملا الكلمة، مع إضافة أن الوسيط زاد أن الكره يعرف بعكسه "خلاف الحب".

فكيف بالله عليكم نبدأ بالمعاجم وهي نفسها توصي - ضمناً - بالببدء بالتجربة المتحررة من سجن لفظ مغلق.

تكرار حاسم:

• إن التصالح على الكره ليس دعوة إلى ممارسته جزئيا منفصلا

• إن القول بأن الكره طبيعة بشرية، وأن الإقرار به هو أدعى للتعامل معه لينطلق في أفضل تجلياته البقائية، بما يجعله لا ينفصل عن موضوعية العلاقة بالآخر التي نفرح بتسميتها "الحب" دون الكره.

• ما وصلني هو أن كل ما ورد في القرآن الكريم كان متعلقا بالكره والاكراه ليس له علاقة مباشرة بالكره الأصيل في طريق التكامل الذي هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، وإنما هو يشير إلى الكره المنفصل المباعد النافر القاهر.

• إن الحب بهذا المعنى ليس ضد الكره، ولكن الحب، منفصلا عن الكره يمكن أن يكون أكثر تسطيحا وأسهل مما لو كان في جدل معه.

وبعد

فلتكن هذه اليومية دعوة لمراجعة المنهج واللغة وعلاقتها بدراسة الظاهرة اللاحق، حتى لا نكتفى بالتوقف عن لفظ في كتاب، أو تعريف في معجم، أو تنزيل مقدس له سياقه الخاص، فيبعدنا عن غايتنا الخرائية اليقظة الناقدة.

وفيما سبق تناولنا ظاهرة الكره كمثال، أما عن الحب فالمسألة أكثر أشكالاً فننصح بمراجعة نشرات (يومية 7-10-2007-10-7-2007 الخوف من الحب "1")، (يومية 8-10-2007 الخوف من الحب "2")، (يومية 1-7-2008 نحن نخاف من الحب وننكر الكراهية!! إذن ماذا؟).

- انتبهت إلى دلالة كل ذلك حتى كدت أتراجع عن الإصرار على كتابة الحوار في قصصى بالفصحى، وبصراحة لم أستطع حتى الآن.. إلا قليلاً، (أنظر آخر قصة كتبتها من يومين وهي التي ستظهر يوم السبت القادم هنا بعد أن ظهرت في تعتة الدستور اليوم "فرسكا").